

في الأندلس

منذر بن سعيد

قاضي القضاة بالأندلس

بقلم الأستاذ المحقق حسين حسن مخلوف

المدرس بالمعالمين بطنطا

كان للأسلام في الأندلس جمال وبهاء، وتفتحات عطرية تهب على أوروبا من حين إلى حين، فتملأ الأرباب إعجاباً بهذا الدين واستقامة نهجه وصعوده في مدارج الحضارة والرق، وإشرافه في شبة الجزيرة الأسبانية حتى انتظم أحوال الناس .
فبينما أخذت خلافة بغداد بهذا المعتمدين في الدبول ثم التفرق، إذ بدولة الأندلس ترتقي صعوداً في اتساع السلطان، وجمع الشمل، ودعوى استحقاق الخلافة التي لا عز لها إلا بالقوة، حتى جاء عبد الرحمن الناصر فلقب نفسه خليفة المسلمين، واتسعت نظامه وخافته دول الأرض من إسلامية ونصرانية، وكانت أحكام القرآن وشريعة محمد بن عبد الله أساس الحكومة وقاعدة إدارة الملك، فلا عجب أن رأيت العلماء ذوي جاه وسلطان ورأى نافذ في الملك والسوق، فالقول ما قالت حزام، فلا يصدر الخليفة أو الأمير إلا عن رأي العلماء الأعلام حماة الملة الأطهار وحصون الإسلام، وكذا سلطان الدين يأخذ بزمام الخليفة فينقاد إليه لا يلوى على شيء . فشجع ذلك الناس على درس الدين والاستقاء من معبته الفياض، أعنى بلاد الشرق، فلا يبلغ الرجل عندهم مبلغ الكمال إلا إذا اقتبس من علم الأندلس في فريضة ثم قطع الرياض والتفتار إلى علماء أفريقيا ومصر والشام والعراق ومكة والمدينة، وحج بيت الله الحرام، ثم عاد إلى بلاده ظافراً منصوراً، فيعترف له بالسبق وتعلق عليه الآمال في هداية الناس، ويعتمد عليه في الفتاوى والأرشاد .
كأن ملوك الأندلس مغرمين باقتفاء آثار المشارقة والتتبع لثقافتهم وعولمهم وفنونهم ليمثلوا حياضهم منها، وحسبهم ذلك في بلوغ الرفعة والجلال، إذ كان للشرق مطلع الهداية الإسلامية وأساس الحضارة العربية . وسأحدث في هذا المقال عن عالم من

علماء الأندلس لأبسط لقراء أسلوباً من أساليب الدرس، ونموذجاً من العلماء الذين سطعت شمسهم في الأندلس التي سماها المرحوم زكي باشا بحق (الفردوس المفقود) ليعلموا البون الشاسع بين علماء الإسلام أمس واليوم، وليعرفوا أن سلطان القرآن لا يسود ويضرب رواقه على الكبير والصغير، إلا إذا كان العلماء شجعاناً، وكانت نصرة الدين أحب إليهم من المال والولد والجاه والنسب؛ فتكون القناعة في الدنيا سبباً في إكبار الناس إياهم وخشوعهم أمام سلطان الدين الذي يدعو العلماء إلى بسطه.

متنذر بن سعيد البلوطي: نشأ في رياض الأندلس الزاهرة في القرن الثالث الهجري فدرس الدين على علماء قرطبة وحفظ كثيراً من شعر العرب وترجم. وكان للأندلس في دراسة الأدب طريق لا يعرف الآن في مصر. كان الطالب يبدأ بحفظ كثير من الشعر واللغة، ومطابقة من أحاديث رسول الله، فيصير أديباً من أول نشأته متدرجاً إلى العلم بأسرار اللغة العربية، فإذا درس القرآن والدين لم يستعص عليه شيء، فيكون علم بالدين علم دراية ورواية، ودراسة الأدب سائرة بسبيل فهم أحكام الدين والتفقه فيه، إذ الدين والأدب العربي صنوان، فكل علمائنا أديباً وكل أديبهم علماء.

ورأى منذر ملوك الأندلس يستقدمون علماء الشرق ويحتفلون بهم ويعدون بحبي أديب. أو عالم من الشرق إلى الأندلس فتحاً عظيماً في الدولة، ودرية يقيمة يزين بها تاج الملك فتطلع منذر إلى الرحلة إلى الشرق ليشافي علماء مصر وبقيّة بلاد المشرق ويأخذ عنهم حتى يلا وفاته من تقاضاهم، ويعود إلى بلاده فيكون حجة العلماء ولقطة الملوك والأمراء. قطع البحر والبر إلى مصر ولقي علماءها وأديبها فأخذ منهم ما استطاع أن يفيد، وكان ذكي التوفاد حاد الذهن، ومن عادة العلماء الأتلاء على كبار الطلاب، فحضر مجلس أديب من أديب مصر هو أبو جعفر بن النحاس، وكان يملئ في أخبار الشعراء شعر قيس مجنون ليلى حيث يقول:

خليلي هل بالشام عين حزينة تبكي على نجد ليلي أعينها

قد أسلمها الباكون لإحسان مطوفة بات ويات قرينها

فقال له: يا أبا جعفر ماذا أعزك الله يا قاصد؟ فارتبك الشيخ وغم عليه المعنى فقال: وكيف تقول أنت يا أندلسي؟ فقال له (بات ويات قرينها) بالنون. أي افتراقاً. فاستقام المعنى. فسكت.

قال منذر: وما زال يستقلني بعد ذلك حتى صنعتي كتاب «العين» وكنت ذهبت إلى الانتساخ من نسخته، فلما قطع بي قيل لي: أين أنت من العباسي بن ولاد؟ فقصده، فالتقيت رجلاً كامل العلم حسن المروءة، فسألته الكتاب فأخرجه إلي، ثم نسّم أبو جعفر لما بلغه إباحة أبي العباسي الكتاب إلى ما كنت أعرفه منه. ولقد دلت هذه القصة على حدة ذكاء هذا

الطالب الأندلسي وسرعة خاطره وإن غضب أبو جعفر بن النحاس ؛ وكتاب العين للخليل بن أحمد ، قاموس فريد في اللغة حرص منذر على كتابته والانتفاع باتساع مادته اللغوية ، إذ كان أول كتاب رتب في اللغة وأبتدأ بالعين أول حروف الحلق ؛ ثم يقية الحروف المعجمية . ثم أخذ ما استطاع من علم مدر وغادرها إلى بقية بلاد المشرق وانتهى إلى الحجاز ؛ فأتى علماءها ومحدثيها فأعجبوا به وأقادوا واستفادوا ، وبعد أداء فريضة الحج عاد إلى بلاده كامل العلم راجع الحلم في عهد عبد الرحمن الناصر أمير المؤمنين .

رجع منذر بن سعيد إلى قرطبة فرأى الثورات قد سكنت ، وأعداء البلاد الأخرى ألقوا السلاح ، والمتطوعين إلى بدر بذور الشقاق في الدولة مابين قتيل وسجين . عظامت دولة الخلافة الأندلسية واتسعت أطرافها وأمنت نفورها وراجت سوق العلم والأدب وعمل الخليفة على نشر لواء الحضارة . وكذلك العوامون على الدول من أبطال العالم يعسطون سلطانهم ، ثم إذا أمّنوا وعرفوا مصادر الأموال ومواردها أذاقوا الشعب حلاوة انتصارهم وكافؤوه على نصرته بإيام يعمل الخير ورفع شأن الأمة أفراداً وجماعات . وكان منذر رجلاً عف النفس ، شامخ الأنف ، جليل المقام ، لا يعرف إلا خاصة الناس ، ولم يستغض بعد اسمه ليصل إلى الخليفة وما كان له أن يسعى إلى ذلك والخليفة مشغول بالغرباء من الأدباء والعلماء ، كأن الوطن قفر من ذوى العلم والرأى فأذا وفد إلى الأندلس أديب أو عالم من الشام أو العراق ، قامت الحكومة وقعدت ، وعظم الاحتفال به وشغل به الخليفة والحاشية ، ونسوا أن في بلادهم ومن لا يقل شأنه عنه ، وكذلك الحال في الدول الناشئة ، تكرم الغريب وتفضل أمر القريب ، وإن في مصر الحديثة لأمانة لذلك ، ولكن المعدن النفيس منها يطرح في الأرض يستين فضله وينتشر ذكره . ساء ذلك منذراً وعجب للقدر وقسمة الحفظ حتى جاء اليوم الذي عرف فيه قدره ، ذلك أنه لما عظم أمر الناصر رغب في محالته الملوكة ، وكان من بينهم قسطنطين ملك الروم إذ بعث إليه بهدية وأرسل معها كتاباً مسطراً بحروف من ذهب ، فأحسن الخليفة لقاء رساله لما وصلوا إلى قصر قرطبة ، وبهرهم ماراًوا من بهجة الملك وروعته ، وأمر عبد الرحمن الناصر بعض الأدباء والشعراء بالخطابة بما يناسب المقام ، فبدأ بالكلام أبو علي القالي وألفد العراق فحمد الله وصلى على النبي ثم أرنج عليه لهول الموقف وأبهة الخلافة قالوا « وانقطع وبهت فما وصل إلا قطع فوقف ساكتاً مفكراً فلما رأى منذر بن سعيد ذلك وكان حاضراً هذا المحتفل ، أقتد الموقف ووقف فخطب خطبة ضافية قال منها « وإني أذكركم نعم الله تعالى عليكم وتلافية لكم بخلافة أمير المؤمنين التي لمث شعركم وأمنت سربكم . . . أنشدكم الله يا معشر الملأ ألم تكن الدماء مسموكة فحقها . . . ألم تكن البلاد خراباً فعمرها وتغور المسلمين مهتضة فجمها ونصرها . . . » ولما فرغ من خطبته أنشد معرضاً بأبي على القالي ومذكراً بهضم حقّه وإغفال مبرلته :

هذا القاتل الذي ماعاه أحد لكن قاتله أذى به البلد
لو كنت فيهم غربياً كنت مطرماً لكنت منهم فاعتالي النكد
وكان الناصر أشد الحاضرين تعجباً منه وأقبل على ابنه الحكم ولي عهده فسأله عنه فقال:
هذا منذر بن سعيد البلوطي فقال: والله لقد أحسن ماشاء، ولئن أخرجني الله لأرفعن من
ذكره نضع يدك بإحكم عليه واستخلصه وذكرني بشأته فما لا صنيعة مذهب عنه، ثم ولاد
الصلاة والخطابة في المسجد الجامع بالهرراء، ولما توفي القاضي القضاة ولاد مكانه بقرطبة مع بقائه
خطيب الخليفة بالهرراء

صار منذر بن سعيد قاضي الجماعة في عرف الأندلسين وقاضي القضاة في اصطلاحنا،
فأحسن أن الله جعله سراجاً في الأرض واتخذ رقيباً على الولاة والحكام، لا يخاف في الحق قوة
الائم ولا يحسب حساب العزل أو الأبقاء، والرضا أو الغضب ملأه معتصماً بالحق بالله وسرف
الدين القاطع، وشاع في الناس ذكره، وعرفوا أن في قرطبة قاضياً يستطيع أن يدين الخليفة
من دونه، ويوسط القرآن على الخاصة والعامة، نصار الخليفة بهابه ويخني زجره وتقده، ومعنى
كان القاضي لا يخشى إلا الله هابه الحكم، لأن روحاً من قوة الله ملأت نفسه، ورهبة من قوة
الدين أخضعت له العروش وأذلت ذوى البأس والسلاطين، وكذلك كان عمر بن الخطاب يقهر
الناس بزهة نفسه وتجرد هاه من المطامع أكثر مما يقهرهم بسيفه وودرته. وناهيك بعبد الرحمن
الناصر أقوى الحكام شكبة في الأندلس وأوسع الناس نفوذاً وقوة. رأى الثلاثة العباسية
تتمزق وأن ملكة الواسع أحق بها من تلك الدولة المريضة، فكان له ما أراد، ولما أخضع أعداءه
وانتظم أمره، افتتحت لهارة البلاد فبنى القصور الشامخة بقرطبة والهرراء «صاحبة قرطبة التي
أنشأها إنشاء» وأجرى الأنهار ونظم الحداث والبساتين ونمالي في ذلك مغالاة لفتت إليه
نظر القاضي منذر بن سعيد، فخطب خطبة الجمعة وكان الخليفة حاضراً، فاستمتع بقوله تعالى
«أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون» فعلم الخليفة أنه المقصود
فبكى وندم، إلا أنه وجد على منذر حيث عنفه أمام الجموع الحاشدة، ولم ير أعز رتبة الخلافة وأمره
الملك، وقال: لقد تعددت منذر بخطبته، وما عني بها غيري، ولم يحسن السياسة في وعظي،
فزعزع قلبي وكاد بعصاه يقرعني. ثم أقسم ألا يصلي خلفه صلاة الجمعة. قال الحكم ولي
عهده: فما الذي يمتنع من عزله عن الصلاة بك والاستبدال به؟ فزجره واتهره وقال:
أمثل منذر بن سعيد في فضله وخيره وطامه لا أم لك! يعزل لأرضاء نفسنا كنة عن الرشد
سالكة غير القصد؟ هذا مالا يكون، وإنني لأستحي من الله ألا أجعل بيني وبينه في
صلاة الجمعة شقياً مثل منذر في ورعه وحدته، ولكنه أخرجني، فأقست ولوددت أني
أجد سبيلاً إلى كفارة يمتني بملكى، بل يصلي بالناس حياته وحياتنا إن شاء الله تعالى
فما أغلطنا (نعتافى منه أبداً)

وهكذا أثار منذر بحظيته البليغة وهز مشاعر الخليفة : ومع أن عزة الملك غلت في رأسه ، لم يسعه إلا أن يضبط عواطفه لأن سلطان الدين كذا أقوى من نزعته نفسه .
وإن ابتداء المشادة بين الخليفة والقاضي في أمر الزهراء ، كان منذ شرع البناءون في بنائها ، والقاضي كان يأسف على ما يذهب من أوقات الخليفة في التردد على أمكنة البناء ، وعلى ذهاب الأموال في العز والجاء والقصور التي يذهب بها الدهر بعد ذلك ، فلما انتهى البناءون من من كثيرها حضر القاضي منذر مع الخليفة يوما لمشاهدتها فقام الرئيس أبو عثمان بن إدريس فأثند الناصر قصيدة منها :

سيشهد ما أقيمت أنك لم تكن مضيعا وقد مكنت للدين والدنيا
فبالجامع المعمور للعلم والنتقى وبالزهره الزهراء للملك والعليا
فاهتز الناصر وابتهج ، وأطرق منذر ساحة ثم قال منشدا :

يا باني الزهراء مستغفرا أوقاته فيها أما تهمل
لله ما أحسنها روتقا لو لم تكن زهرتها تذهل

فقال الناصر : (إذا هب عليها نسيم التذكار والحزين ، ما وسعتها مدامع الخشوع ، يا أبا الحكم لا تذبل إن شاء الله تعالى)

فأجابه منذر « اللهم شهد أني قد بثت ما عندي ، ولم آل تصحا » واستمرت المشادة بينهما حتى نهاده عن البناء بقراميد الذهب والقضبة التي سقفت بها قبة الصرح المبرد ، وكان مما قاله القاضي للخليفة « ما فلتنت أن الشيطان أخراه الله يبلغ مثل هذا المبلغ ، ولا أن تمكنه من قيادك هذا التمكن مع ما أتاك الله وفضلك به على العالمين ، حتى أزلك منازل الكافرين » « فغمر عبد الرحمن من قوله فقال له : نعم . أليس الله تبارك وتعالى يقول « ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبؤتهم سققا من فضة ومعارض عليها يظهمرون ، ولبيوتهم أبوابا ومسرورا عليها يتكثرون » فوجم الخليفة ونكس رأسه مليا ودموعه تجري على لحيته خشوعا لله تبارك وتعالى ثم أقبل على منذر وقال له : جزاك الله تعالى يا قاضي خيرا عنا وعن المسلمين والدين ، وكثر في الناس أمثالك فإني قلت « هو والله الحق » وقام وهو يستغفر الله تعالى ، وأمر بنقض سقف القبة ، وأعاد قراميدها ترابا ، وكذلك كانت في أحكامه الشرعية . حدث أن رغب الخليفة في شراء دار وقومها ، وكانت لايتام لا تباع إلا بأذن القاضي ، فاستقل منذر الثمن ، وخاف أن يحتمل الخليفة لشراؤها بعد ذلك ، فأمر بهدمها وبيع أقتاضها ، فكان ثمن الاقتاض أخلى من تقويم الخليفة ، فسأل القاضي لم فعل ذلك وقد كان عازما على شراؤها بشئ مناسب ؟ أجاب منذر : أخذت فيها بقوله تعالى « أما السفينة فكانت لمساكين يملأون في البحر ، فأردت أن أعييبها وكذا وراهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا » فسكت الخليفة وأذعن لأمر القاضي .

ثأى نفس هذه النفس التي تأخذ بزمام الخليفة وتكفكف من غرب إعجابه وسطوته حتى
يتعظ وينقض ما أريم . لاشك أنه الأخلص لله والشجاعة النفسية . رأينا القاضي منذرا
شديد الصلاة في أحكامه لا يهاب أحداً مهما فعل شأنه . كان بليغاً نصيحاً عالماً بالجدل حاضر
الجواب قوى الحجج ، ذا إشارة عجيبة ومنظر جميل وتواضع خلق ، لم تحفظ عليه قضية فيها
جور قط ولا ميل إلى هوى أو إصغاء لرءاء كبير ، وكانت ولايته القضاء بقرطبة سنة
٣٣٩ هـ واستمر بقية عهد الناصر ، فلما ولي ابنه الحكم المستنصر ، أقره على القضاء وظل فيه
إلى أن مات سنة ٣٥٥ هجرية وكان متغنياً في ضروب العلم ، غلب عليه التفقه بمذهب داود
الظاهرى فأذا جلس للقضاء ، قضى بمذهب مالك الذى كان عليه العدل فى الأندلس ، وكان مع
هذه الشدة كثير اللطافة والمزاح الذى لا يمس الكرامة ، وله فى ذلك أحاديث منها ما تحدث
به سعيد ابنه قال : فعندنا ليلة من ليالى شهر رمضان مع أيتنا للأفطار بداره البرانية فأذا
سائل يقول : أطعموني . من عشائكم أطعمكم الله من ثمار الجنة هذه الليلة فقال القاضي :
إن استجيب لهذا السائل فليس يبقى منا أحد إلى الصباح ، فضحك الحاضرون .

منين مسه محاروف

(طنطا)

العدد الممتاز

يصدر فى ١٥ يونيه القادم

أحرصوا على اقتنائه

فهو لا يرسل إلا لمن سدد الاشتراك

عمر بن معاوية كبر الزبيدي - ٢

صادقت حياة شاعرنا الدولة الفارسية في أوج عظمتها، بدر دفة الملك فيها كسرى الذي كانت تعد عليه الوفود من أصناف المعمورة ليكسبوا رضاه وينالوا عطفه، ثم ليأخذوا من الحضارة الفارسية قسطا يقيمون به أودهم ويصلحون به من شأنهم.

وكان لابد أن يقدم وفد من العرب وعلى رأسهم النعمان بن المنذر الذي كان ملكا على الحيرة حينذاك، وصادف قدوم النعمان على كسرى وجود وفود الروم والهند والصين فذكروا من ملوكهم وبلادهم وحياتهم ماسر كسرى، فأعطاهم أذنا واعية كل ما يقال.

وانتشر النعمان بالعرب وأخذته حية الجمالية؛ ففضلهم على جميع الأمم، ولم يستثن فارس، وما لا شك فيه أن هذا يوغر صدر كسرى فيجعله يمتدح على النعمان ويقابله بصدقة تجعله يعترف للفرس بالسيادة على الأقل... وما كان منه إلا اعتدال ثم رد ثم صدقات، فقال وقد أخذته عزة الملك وقوة الجاه:

يا نهمان! لقد فكرت في أمر العرب وغيرهم من الأمم ونظرت في حال من يقدم علي من وفودها، فوجدت الروم لها حظ في اجتماع ألفتها وعظم سلطتها، وكذلك الصين في اجتماعها وكثرة صناعات أيديها وفروسياتها. ثم ذكر الترك والخزر وما بهم من سوء حال المعاش وقلة الريف والثمار: وما هو عمارة رأس الدنيا من المساكن والملابس، ولكن مع هذا لم ملوك تضم قواصمهم وتدير أمهم. ولم أر للعرب شيئا من خصال الخير في أمر دين ولا دنيا ولا حزم ولا قوة، يعيشون مع الوحوش الشفرة والطير المأثرة، يقتلون أولادهم من الفاقة وأفضل طعم طعمهم به فاعلمهم هو حلم الأبل - ثم عدد من أمثال تلك المساوي ما حفز النعمان للقيام بنقض تلك الادعاءات وأجاد كل الأياد حتى أن كسرى أعجب بكلامه فقال: إنك لأهل لموضعك من لرياسة في أهل إقليمك، ثم كساه من كسوته وبرزه إلى الحيرة.

وإذ انخيلنا موقف النعمان وما ينطوي بين جوانحه. فظهر لنا أنه يثني شيئا في نفسه يظهر أثره بعد ذلك وإن كان كسرى قد أنتم عليه وشكره ومتمعه في حله وترحاله.

ولما قدم الحيرة بحث إلى عشرة خطباء من أفذاذ العرب، وكان صاحبنا تاسعهم، وجمعهم النعمان بين يديه وقال لهم - وكان مبتليا كرمي الملك بالخورنق -

فد سمعت من كسرى ما آلمني وربما كان له، أرب من ذلك: فانتدبهوا إليه ولا تتخذوا ولترفعوا عن العرب كل وصعة يلحقها بهم أولئك الأبحام الذين طغوا فملكوا وضوا فملكوا. ثم جهزهم بجهازهم وكتب إلى كسرى يقول:

أما بعد، نأى الملك ألقى إلى من أمر العرب ما قد علم وأجبتنا فما قد فهم، وبما أحببت

أن يكون منه علي علم . إن أمة من الأمم التي احتجرت دونه بمملكتهما وحت ما يليها بفضل قوتها تبلغها في شيء من الأمور التي يتميز بها ذو الحزم والقوة والتدبير والمسكيدة . وقد أوفدت إليها الملك رهطا من العرب لهم فضل في أحسابهم وأنسابهم وعقولهم وآدابهم ، فليسمع الملك وليغامض عن جفاء إن ظهر من منطقهم ، وليكرمني بأكرامهم وتعجيل مراسلهم . ثم خرج القوم في أمشيهم حتى وقفوا بباب كسرى بالمدائن فدفعوا إليه الكتاب ، وفي شيء من الرسائل الفارسية قال لهم كسرى وأقام ترجانا ليؤدي إليه كلامهم ، ثم أذن لهم فخطب الزانية وأجادوا ، فبهز عقل كسرى ، وجاء صاحبنا فغطى على السائقين ، وأنه ليعجبني ويقع في نظري أفضل الخطباء ، فمن يجاز في غير إخلال ، إلى دقة في المعاني في غير تكلف ، إلى فلسفة تحار عندها القلوب ومنطق يذهل العقل أمامه ، فهو لا يشئ كسرى وبأسه ، ولا يتلقى إليه ، فترك الرسائل ويتكلم فيما أراد غير حياء ، ولنسمعه إذ يقول وكأنه رأى استحقاقا من كسرى لهم أو استكبارا عليهم .

« إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه ، فبلاغ المنطق السداد ، وملاك النجعة الارتداد ، وعفو الرأي خير من استكراه الفكرة ، وتوفيق الخبرة من اعتساف الخبرة فاجتذب طاعتنا بالفظك واكتظم بإدبرتنا بملكك ، وألن لنا كنفك يمس لك قيادنا ، فأنا أناس لم يوقس صفاتنا قراع منافير من أراد لنا قضا ، ولكن منعنا حانا من كل من رام لنا هضا » .

من ذلك لم يتخلص أنه كان ذاك مكانة رفيعة بين ملكه وأخصائه ، يشهد له ملكه أنه ذو نسب وحسب وأدب وفعل ، أما النسب والحسب فهما لا شك فيهما ، وأما الأدب والفضل والحلماء وفؤدة الأسلوب وصدق الرواية فنحن نلصقه بين أيدينا ونقرؤه كل وقت وحين .

كان يقول الحق لشيء غير الحق ، فقد كان يصدق عن نفسه بأنها ريتا حدثته بالخوف والحرب فأخذها بصلابة الرأي وصدق العزيمة والخوف من البار فيثبت فيغور ويغلب ، وفي ذلك يقول عن نفسه :

« لومرت بظعنينة وحدي علي مياه معند كلها ما خفت أن أغلب عليها ما لم يلقني حراعا أو عبداها ، فأما الحران فعامر بن الطفيل وعبيد بن الحارث بن شهاب ، وأما العبدان فأسود بنى عبس — يريد به عنقرة — والملك بن الملك .

وهو يصرح أنه لا يطبق بأس هؤلاء الأربعة الفوارس ، ويذكر ذلك على الملأ العربي وإنها خلعة حسنة وصدق جميل .

ثم هو يصدق عن نفسه في الحرب أيضا بأبيات شعر غاية في المثانة والقوة والمجالة والمهولة فيقول :

ولما رأيت الخيل زورا كأنها	جدلول ذرع أرسلت فاستطرت
نفاشت إلى النفس أول مرة	فردت علي مكروهما فاستقرت
علام تقول الرمح يتقل عاتق	إذا أنا لم أظعن ، إذا الخيل كرت

ثم يقول في آيات آخر :

أشاب الرأس أيام طوال وهم ما قضته الفلوع
إذالم تستطع شيئا فدعه وجاوزه إلى ما تمطع
وصلة بالزمام فكل أمر سعا لك أو سموت له ولوع

ولقد انتهت جاهليته وعلينا أن نذكر إسلامه وارتداده ثم إسلامه ثانيا وبقائه على إسلامه وبلاده المحن في اليرموك والقادسية حيث كان أداة لنصر وشعاره في ذلك يقول أصدق القائلين : « يا أيها الذين آمنوا إن تتدبروا الله ينصرف ويثبت أقدامكم » .

عرض الله الامام فترى
مدرة عابدين لعمري

معترك الحياة

لا بد للنازل في معترك الحياة من سلاح قوى ليكفح به ما يترصده من صعاب ، ويذلل ما يقوم في طريقه من عقبات . موت من نجب ، وفارقة الأصدقاء ، وأمراض الجسم ، ومصائب أخرى . كل ذلك معد للأسان في طريق حياته . ولكن الصبر على المطلوب ، والتغلب على التنازع ، والأقدام على المخاطر والنيات في الأعمال ، ومواجهة الظالم المسبب ، وقول الحق بجرأة ، كل هذه الصفات من معاني الشجاعة الأدبية وهي السلاح الوحيد لذلك النازل في المعترك ، وإلا كلف أعزلا في الميدان ، وإلا كان هازلا ، وإلا داهى اليأس فوات .

والجبن ضد الشجاعة ، هي داؤنا المضال ، هي التي أفقدتنا قوة الأقدام على المشاريع العظيمة النافعة ، والأعمال الحرة المستقلة فاستغلها غيرنا فتقدم وتأخرنا ، وهكذا في كل ما يدعو إلى التقدم . ولقد صدق القائل : (الناس من خوف الفقر في فقر ، ومن خوف الغل في ذل) نعم يدعو حب الحياة وخوف الفقر أو التعب الجبناء إلى الأحجام فيموتون ويقترون ويتبعون . ويدعو حب الحياة وخوف الفقر أو التعب الشجعان إلى الأقدام فيحيون ويثرون ويستريحون .

تأخرت أمتي الحياة فلم أجد لنفسي حياة ، بل أن أقدم
قالت السيدة عائشة : (إن لله خلقا قلوبهم كقلوب الطير كلما خفت الريح خفت معهم تأف
للجبناء تأف للجبناء !) وقال جون استوارت مل : (ويل الزمن الذي لا يجرد على الشذوذ
فيه إلا الأتلون)

محمد محمد حسين عمار

بمدرسة فيشا الصغرى

(سرهيت)